

الخدمة الاجتماعية في الإسلام الوسائل والمظاهر

د. علي غنابزية

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي - الجزائر

الملخص:

تعتبر الخدمة الاجتماعية في الإسلام من أبرز مظاهر المجتمع، وتتمثل في تقديم شتى المساعدات للناس، لأن الإسلام يأمر بالعدل والإحسان، وتكشف هذه الدراسة العلمية عن الدعائم المتمثلة في التعاون والإنفاق والأمر بالمعروف وإعانة المحتاجين، وتتم عبر وسائل كإخراج الزكاة، وأداء الكفارات، وتقديم الصدقات والهدايا وتتمثل مظاهرها في الإحسان ورعاية المرضى، والاهتمام بالبيئة وغيرها من الأمور التي تخفف عن الناس، وتشر الطمأنينة في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: إنفاق المال، فعل الخير، الإحسان إلى الناس .

The social service in Islam – Ways and appearances–

Abstract :

Social service is one of the most important appearances of society, that one is to offer help people because Islam commands the justice and beneficence.

this study demonstrates the basics such as cooperation, expenditure control well and help the needy, this is achieved through means such as the payment of Zakat, of atonement and the gift of charity and gifts. His appearances are: beneficence, patient care and concern for the environment and other things that relieve people and spread peace in society.

Keywords: spending money, good deeds , Charity to people.

مقدمة:

تتميز الشعوب والمجتمعات بالمبادئ والقيم النبيلة، والسمات والأخلاق المعبرة عن هويتها، ويتجلى أثرها عند المتابعين، ويبرز ذلك جليا في الحضارة الغربية المعاصرة، بما عرفت به من تطور وسلوك يأخذ بالألباب، والذي اظهر - في المقابل - المجتمعات العربية بضعفها الأخلاقي، وجفاف علاقاتها، وفساد معاملاتها، وكلها أمراض عابرة، اعترت الكيان، ويمكن تجاوزها بالرجوع إلى الأصول الشرعية، وتفعيل الخدمة الاجتماعية. والخدمة الاجتماعية في الإسلام، روحها السماحة، وركيزتها الشريعة، وسقفها الخلق، وثمارها تفريج الكرب والهموم، وإدخال السرور ودفع الشرور، وقد أرسى أسسها النبي صلى الله عليه وسلم، وحددتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، في خمسة محاور، فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم فور نزول الوحي عليه: (كلا، والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).

وقامت الخدمة على فعل الخير، ودُعي المسلم أن يكون مفتاحا للخير، فيبذل منه الكثير بدون منٍّ ولا حساب، لأن فيه صلاح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، وبه تصان الحقوق وتؤدى إلى أصحابها، ويتحقق التعاون، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسود العدل، ويعيش الناس أخوة تظلمهم المحبة والرحمة. إن الإشكالية العلمية تقتضي البحث في كنه الخدمة الاجتماعية في التصور الإسلامي، بداية من الماهية التي تستوعب مجالها، وما يترتب عنها من جزاء في حكم الشريعة، واهم الدوافع والمحفزات الداعية على إقبال الفرد والجماعة، فضلا عن الدعائم التي ترتكز عليها من قيم الإسلام، وكذلك الوسائل الكفيلة بتجسيدها في الواقع، والمظاهر الاجتماعية التي تتجلى من خلالها، سواء في ظل الحضارة الإسلامية الغراء، أو واقع الناس اليوم.

1) مفهوم الخدمة في الإسلام: الخدمة الاجتماعية في الإسلام، هي إنفاق المال في وجوهه النافعة، وبذل الجهد العملي لفائدة الناس، والتعامل بالأخلاق الفاضلة، مع الفرد أو الجماعة بمختلف مؤسساتها، وتقديم الخدمة بكل حرية ومحبة، مع الرغبة في الأجر والثواب عند الله.

2) حكم الخدمة في الإسلام: يصدر الحكم الشرعي على الخدمة الاجتماعية حسب موقعها وزمنها ومدى الحاجة إليها، ويمكن الوقوف عند الأحكام التالية:

الوجوب: إن فعل الخير، وبذل المعروف، من خصائص الإسلام، وأوجب الدين فعله على المجتمع المسلم، ووردت النصوص الصريحة في الدعوة إلى الخدمة الاجتماعية الأساسية، لأن صلاح المجتمع مرتبط بتواصل الخدمة، وتعاون الجميع وتكاتفهم في السراء والضراء، وربط القرآن بين الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل الأثر هو الفلاح والفوز عند الله، فقال سبحانه: (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون).⁽¹⁾

ومن أول المبادئ " التي قررها الإسلام واعتبرها وسيلة الإصلاح الاجتماعي العام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا مبدأ تضامني رائع، يتواءم به المؤمنون على حق وخير وبر، بحيث يسودهم أفرادا وجماعات ما به صلاحهم وفلاحهم، وسعادتهم وانتصارهم على أعدائهم... ومن هذا المبدأ ينتظم المؤمنون جميعا شعور التضامن والتكافل، بحيث يسعى كل مؤمن لخير أخيه وإصلاح شأنه، وعلاج ما يعتريه من علل مؤذية وآفات مهلكة، حتى يكون المؤمنون جميعا خير امة أخرجت للناس". (2) وكل تهاون من المجتمع على نشر الخير يكون العقاب شديدا فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم). (3)

ويكون الإحسان إلى الجار واجبا ولاسيما عند احتياج الجار إلى أساسيات الحياة، وهو الطعام، وورد في الحديث: (ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع وهو يعلم). (4) ويدخل في ذلك إخراج الزكاة، ودفع الكفارات والنفقة على أصحاب الحقوق.

. **الاستحباب:** وقد حبيب الإسلام في فعل الخير لعامة المسلمين، والتطوع ماليا، ومساعدة المسلمين وغيرهم قدر الاستطاعة، مثل تقديم الصدقات، والهدايا والهبات، وتبادل المنافع، وقرض الناس لتوسيع تجارتهم، وكلها لا تكون الحاجة فيها ماسة، والمسلم مخير في تقديم الخدمة، ولكن الصداقة، والرغبة في الأجر هي الحافز على العمل، والنصوص التي تحت على التطوع وفعل الخير أكثر من أن تحصى، مثل الدال على الخير، فيما رواه أنس بن مالك، أنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يستحمله، فلم يجد عنده ما يتحملة، فدلّه على آخر فحملة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره، فقال: (إن الدال على الخير كفاعله). (5)

3) دوافع الخدمة الاجتماعية في الإسلام:

(أ) **أداء الواجبات:** ويكون بامتثال أمر الله فيما فرضه على الناس، وأداء الحقوق إلى أصحابها، فتكون الخدمة لازمة، وواجبة التنفيذ، فالعامل في إدارته يقدم خدمته للمواطنين بدافع أداء الواجب، وإحسان العمل.

(ب) **إظهار قيم الإسلام:** بإقامة العدل في الأرض، ونشر المودة بين الناس، وإبراز الخلق الإسلامي المبني على التسامح والتراحم والود، حتى يكون سائدا بين أفراد المجتمع لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (6). والمجتمع المسلم يُغلبُ المعاني الروحية المعنوية في معاملاته على المادية " والفرق كبير بين إقامة المجتمع على أساس معنوي وقيامه على أساس مادي، فالمجتمع المعنوي يقوم على علاقات روحية تربط بين أجزائه في تراحم وتلاحم، بحيث لا يمكن لهذه العلاقات أن تتفكك، ولهذه الأجزاء أن تتبعثر، وبالتالي فإن البناء يصبح في منعة من التداعي والسقوط، ولما كان المجتمع الإسلامي يقوم على رابطة العقيدة؛ فإن هذه الرابطة هي

أوثق ما يؤلف بين البشر، وهي إنسانية لا تعرف الضيق في اطر مصطنعة، ليست أصيلة في الحياة الإنسانية." (7)

3) ابتغاء الثواب والجزاء: فالخدمة في اعتقاد المسلم، ليست برغماتية نفعية، أو من أجل تحقيق أهداف شخصية، بل تتبع من المبادئ الإسلامية، فيدعو الإسلام في نصوصه وأوامره، إلى الإحسان للناس، وإكرام الجار ولو كان كافرا(حق الجوار)، والتعامل بأخلاق الإسلام، والتجرد لله تعالى وإخلاص العمل له، وقال الله السميع سبحانه في وصف أهل الجنة: (ويطعمون الطعام على حبه مسكياً ويتيمماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً). (8) ويعلق صاحب الظلال على النص بقوله: (فهي الرحمة الفائضة من القلوب الرقيقة الرفيقة، تتجه إلى الله تطلب رضاه. ولا تبتغي بها جزاء من الخلق ولا شكراً، ولا تقصد بها استعلاء على المحتاجين ولا خيلاء. كما تنقي بها يوماً عبوساً شديد العبوس، تتوقعه وتخشاه، وتتقيه بهذا الوفاء. وقد دلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وهو يقول " اتق النار ولو بشق تمرة"). (9)

وجعل الله جزاء الصدقة كبيراً، والأجر وفيراً، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبه كما يربّي أحدكم فُلُوهُ حتى تكون مثلَ الجبل). (10) وينجو المؤمن من شدة العذاب يوم القيامة، بفضل العمل الصالح الذي يخفف عن البؤساء، فعن أبي قتادة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سرّه أن يُجزيه الله من كُرب يوم القيامة فليُنقَس عن معسرٍ ، أو يضع عنه). (11)

4) دعائم الخدمة الاجتماعية في الإسلام:

أقام الإسلام المعاملة على الطهر والفضل والخير، ودعا إلى تقديم الخدمة الخيرية للإنسان، بل تعداها إلى الحيوان، وحبب المسلم في ذلك فقال تعالى " وافعلوا الخير لعلكم تفلحون". (12) والأمر في الآية على عمومها من الواجبات الشرعية، ويختلف الحكم في الأمور التفصيلية بين الواجب والمستحب والمباح، من أجل تحقيق التكافل الاجتماعي الذي يربي عليه الفرد والجماعة، كما يشير النص المولي: " لقد عني الإسلام بالتكافل الاجتماعي أن يكون نظاماً لتربية الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي، وأن يكون نظاماً لتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها وان يكون نظاماً للعلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة، وأن يكون في النهاية نظاماً للمعاملات المالية، والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي". (13) وعلى هذا الأساس، تتعدد دعائم الخدمة الاجتماعية في الإسلام، ومن أبرزها:

أ) التعاون: يعتبر الإسلام فعل الخير من الأعمال التي يتعذر فعلها بدون تكاتف الجهود، وتعاون الأفراد، فجعله أصلاً ثابتاً ودليلاً، قوله تعالى: " وتعاونوا على البر والتقوى". (14) ونجد السنة العملية تجسد هذا في أكثر من حادثة، وأشهرها بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، فكان ينقل الحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة * فاغفر للأنصار والمهاجرة

وزاد ذلك تحفيزاً عند الصحابة الذين كانوا يعملون بنشاط وتعاون، وقد ارتجز أحدهم قائلاً:

لئن قعدنا والنبي يعمل * لذاك منا العمل المضلل⁽¹⁵⁾

وكان جو المرح والسرور يضيف جمالاً على التعاون، ونلاحظه جلياً عند حفر الخندق حول المدينة لمواجهة الأحزاب، فهبت المدينة بأسرها، يحملون المعاول، وينقلون التراب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم رائدهم في هذه الخدمة الجليلة. قال البراء بن عازب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينه علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الآلي قد بغوا علينا * إذا أرادوا فتنة أبينا

وهو شعر عبد الله بن رواحة، وكان الصحابة يرددون الأبيات في مرح وفرح، والنبي صلى الله عليه وسلم يمد صوته بها معهم فيقول: لاقينا، أبينا.⁽¹⁶⁾ وكان الصحابة يرتجزون برجل من المسلمين يقال له "جُعيل"، سماه رسول الله عمراً فقالوا:

سماه من بعد جُعيل عمراً * وكان للبايس يوماً ظهراً

فإذا مروا بعمر قال رسول الله: عمراً، وإذا مروا بظهر قال رسول الله ظهراً.⁽¹⁷⁾

وهذا انعكس على واقع المسلمين، وظهر في المجتمع الجزائري هذا السلوك من خلال النظام الاجتماعي والعرف الصالح، والذي عرف في مجتمع وادي سوف باسم "العوانة" وفي المجتمع الجزائري باسم "التوزيع"، وتظهر "الخدمة الاجتماعية" بتعاون سكان القرية على الحصاد أو البناء أو شؤون الزواج وغيرها من الأمور التي تحتاج إلى تكاتف الجهود، وتعاون الأفراد، وبذل أقصى ما عندهم بكل فرح وسرور.

(ب) الإنفاق: ويشمل كل ما يعطى، وينفق منه، وأساسه الإنفاق في سبيل الله، ومما رزق الله عباده، لقضاء حوائج المسلمين، ويكون الإنفاق من المال، أو العلم، أو الرأي السديد، أو الجهد العضلي وغيره من المنافع التي فيها خدمة للفرد أو الجماعة، ويشمل وجوه الخير المختلفة.

(ج) بذل المعروف: وهو كل عمل صالح ينفع الناس، ولو كان كلمة طيبة، فهي أفضل من صدقة المن والأذى، قال سبحانه وتعالى " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ".⁽¹⁸⁾ وعدها النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقات قال صلى الله عليه وسلم: " والكلمة الطيبة صدقة ".⁽¹⁹⁾ ولا يصلح بذل المعروف أن يمن صاحبه بجهده المبذول، بل يحتاج إلى جمال في المعاملة وحسن السلوك مع المحتاج، ولا سيما الابتسامة في وجه المسلم عند المعاملة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق).⁽²⁰⁾ وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى

أخاك بوجه طلق). (21) وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا رأني إلا تبسم في وجهي). (22)

والإمام البخاري جمع أحاديث كثيرة للرسول صلى الله عليه وسلم وبوّب لها با سم : (باب التبسم والضحك) ، والإمام مسلم كذلك في صحيحة جمع أحاديث ببوّب لها الإمام النووي فقال في كتاب الفضائل. (باب تبسمه وحسن عشرته) ، وقد جعلت بعض الشعوب - في زمننا - التبسم في الإدارة من أساسيات العمل، وعلقت عبارات الاحترام على الجدران وطُلب من الزبائن أن يحتجوا لدى الإدارة عند التقصير، وهو سلوك يمارس الآن في ماليزيا. (23)

وفاعل المعروف . في الإسلام . وإن لم يكن له نية التقرب إلى الله، حين الشروع في العمل، فإله يأجره عليه بكرمه ومنته، فقد سئل الحسن رضي الله عنه، عن الرجل يسأله آخر حاجة وهو يبغضه، فيعطيه حياء؛ هل له فيه أجر؟ فقال: "إن ذلك لمن المعروف، وإن في المعروف لأجراً"، وسئل ابن سيرين ، عن الرجل يتبع الجنابة لا يتبعها حسبة يتبعها حياء من أهلها أله في ذلك أجر؟ فقال: "أجر واحد؟ بل له أجران، أجر الصلاة على أخيه، وأجر لصلته الحي". (24)

(د) **إعانة المحتاجين:** يحتاج البشر إلى بعضهم، والإنسان مدني بطبعه، ويكمل الناس بعضهم بعضاً، بالتعاون والعمل المشترك، وقضاء الحوائج، وتفريج الكرب، وتقديم المساعدات، وتسهيل الخدمات المختلفة، وتبرير الأخوة كمعلم محفز لتقديم العون، ويترتب عليه الجزاء الأخروي الكبير الذي يكون دافعا قويا للبدل والعطاء، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الهل صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ. وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (25) وورد الحديث بلفظ " العبد " ويشمل تقديم الخدمة لمن يحتاجها من البشر، لأن الخلق والدين يحث عليه، وذلك سر نجاح الخدمة الاجتماعية، التي تكون الرحمة روحا دافعة للعمل، وبذل الجهد للتخفيف عن البؤساء، وقضاء حوائج المعوزين، ورفع الغبن عن الفقراء وغيرهم من المساكين، وكشف الكرب الخطيرة، كالظلم وتراكم الديون، والمرضى، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) (26)

(هـ) **الإيثار:** وهو سر نجاح الخدمة الاجتماعية، ونفعها الكبير في المجتمع، ووصف الله . في كتابه - أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم يؤثرون الآخرين على أنفسهم ، ولا يبخلون بما في أيديهم، ولو كان قليلا: قال سبحانه وتعالى : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (27). ولا يفوز العبد بهذا الخلق إلا بتزكية نفسه من جواذب الدنيا، وتطهيرها مما يكبحها عن فعل

الخير، ويدعوا للإسلام إلى تطهير النفوس من البخل والشح (فهذا الشح. شح النفس. هو المعوق عن كل خير. لأن الخير بذل في صورة من الصور. بذل في المال. وبذل في العاطفة. وبذل في الجهد. وبذل في الحياة عند الاقتضاء. وما يمكن أن يصنع الخير شحيح يهم دائما أن يأخذ ولا يهم مرة أن يعطي. ومن يوق شح نفسه، فقد وقى هذا المعوق عن الخير فانطلق إليه معطيا باذلا كريما. وهذا هو الفلاح في حقيقة معناه) (28).

(و) إتقان العمل: هو من متطلبات التعامل الإسلامي، لأنه يعود بالنفع على المجتمع، (وكل فرد مكلف أن يحسن عمله الخاص، لأن ثمرة عمله عائدة على الجماعة: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" . ولكل فرد حق العمل على الجماعة . أو على الدولة النائبة عن الجماعة...) (29).

فالإداري الذي يؤدي عمله كاملا، ويبسر الخدمات للمواطنين، يكون متقنا لعمله، ومؤديا لخدمة اجتماعية تترك أثرها الحسن ولاسيما في زمن انتشار الفساد وضعف الخلق.

5) وسائل الخدمة الاجتماعية في الإسلام:

شرع الإسلام شتى الوسائل، للأداء الخدمة الاجتماعية من قبل الأفراد، والجماعات وعلى رأسها الدولة، ومنها الوسائل الواجبة الإلزامية، أو المستحبة النابعة من التطوع والرغبة في فعل الخير:

(أ) الوسائل الفردية :

- إخراج الزكاة : وهي واجبة على الأغنياء، وجعلها من شروط الدين القيم : (وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (30). وللدولة الحق في أخذها قسرا من الممتنع عن أدائها، وهي كفيلة - عند تنظيمها - أن تحل المشاكل الاجتماعية، وتخفف من وطأة الفقر وتحقق التكافل الاجتماعي. وقد أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز من ينادي في الناس كل يوم: " أين المساكين؟ أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين الذين يريدون الزواج. وذلك ليقضي حاجة كل طائفة منهم من بيت مال المسلمين". (31)

قال يحيى بن سعيد: " بعثني الخليفة عمر بن عبد العزيز لجمع زكاة افريقية فجببتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد من يأخذها منا فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشترت بها رقابا. أي عبيدا . فأعتقتهم" (32)

. أداء الكفارات : وهي ما فرض على المسلم إخراجها من مال عند ارتكاب المحظورات أو ترك الواجبات، ومنها كفارة اليمين، وكفارة الصيام، وكفارة الظهار، ويتم فيها إطعام المساكين، فهي وسيلة لتحقيق التكافل قال الله تعالى عن الحنث في اليمين: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) (33).

- الوقف: وهو أن يُخصص المسلم شيئا من كتب أو مدرسة، أو عقار أو أرض مزروعة، وغيرها، لإعانة الناس وتقديم منفعة لهم، ودعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم وجعله من أفضل الأعمال التي تعود بالأجر

على صاحبها بعد وفاته فقال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) (34).

وعلى مدار التاريخ كان الوقف مؤسسة هامة في المجتمع المسلم، ففي بعض الأزمنة يحتاج المسلمون إلى إقامة الأريطة والمستشفيات أو المدارس والكتاتيب والمعاهد، ومن روائع الحضارة الإسلامية، أنها أوجدت مؤسسات لتزويج الشباب والفتيان العزاب العاجزين عن تكاليف الزواج، وإقامة مؤسسات تمد الأمهات بالحليب والسكر لإرضاع أطفالهن وهي مؤسسة أقامها صلاح الدين الأيوبي في قلعة دمشق، ولعل أطرف المؤسسات الخيرية، هو وقف الزبادي(الأواني) للأولاد الذين يكسرون الأواني في الطريق، تقدم لهم أنية جديدة حتى يعودوا إلى أهلهم دون عقوبة. (35)

فيلبي - الوقف - حاجة الأمة حسب الضرورة، ويواكب تطورات العصر. ففي زمننا هذا مثلاً نحن بحاجة إلى إقامة مشاريع نافعة، " ووقف عقارات على مشاريع الدعوة إلى الله تعالى عبر الشبكة المعلوماتية (الإنترنت)، ووقف آخر كبير على إجراء البحوث العلمية والعملية، النظرية والتطبيقية وإنشاء صالات ودواوين وافية لإقامة المحاضرات والندوات فيها، ووقف أموال على فكاك الأسرى. " (36)

- تقديم الصدقات لمستحقيها: وهي من أعمال البر، وتساهم في تخفيف المعاناة عن المحتاجين، وإغاثة الملهوف وتجسد معاني الإحسان، يقول الله الحق سبحانه: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين). (37) ومن الأحاديث النبوية الدلالة على التكافل الاجتماعي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له) يقول راوي الحديث، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل. (38)

والإعانة تكون لازمة للوجوب عند اشتداد الحاجة إليها، ولو لغير المسلم، فقد أعان الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الفقراء والمحتاجين من أهل الذمة الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي، وجرى على ذلك ولاة الأمور من المسلمين. (39)

. الهدية والهبة : وهي نابعة من روح المحبة والصدقة، وحث الإسلام على تبادلها لتقوية الرابطة الاجتماعية وتمتين الأواصر بين أفراد المجتمع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تهادوا تحابوا) (40). وحينئذ تسود المودة والرحمة بين الناس.

ب) الوسائل العامة : وهي التي يشرف عليها المجتمع، أو تتولاها الدولة وجعلها الإسلام من مسؤوليتها وواجباتها الاجتماعية، ومن أهمها :

أ- استغلال موارد المال العام، وكافة الثروات التي تملكها الدولة، والانتفاع بها ليتحقق أقصى حد الرفاهية الاجتماعية الشاملة. وحينئذ يتطور المجتمع، وتحصل النهضة المطلوبة.

ب- إيجاد فرص العمل للقادرين، وإيجاد الحلول العملية لمواجهة البطالة، وإقامة المشاريع البناءة التي تساهم في تطور المجتمع.

ج- تنظيم وسائل التكافل الفردي من طرف الدولة ولاسيما الزكاة والوقف، وفي هذا المجال نطق القرآن، موجها الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم، ولمن يخلفه بالولاية العامة: (خُدْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) (41).

ج - استغلال الدولة لبعض أموال الأغنياء، عند عجز مواردها عن تلبية الحاجات الاجتماعية، فيرى معظم فقهاء الإسلام، أن الدولة يحق لها أن تفرض في أموال الأغنياء ما يحقق ذلك حتى تعود الأوضاع إلى حالتها السوية بشرط أن يكون ذلك بالعدل، وخدمة الصالح العام (42).

6 مظاهر الخدمة الاجتماعية:

تعتبر الخدمة الاجتماعية سمة بارزة في المجتمع الإسلامي، وشامة متميزة في سلوك الأفراد ومؤسسات الدولة والمجتمع، وتتجسد في مظاهر التعاون والتآزر وفعل الخير، وأساسها الإحسان للناس، ومن أبرز مظاهرها:

أ) الإحسان إلى الخلق: ويكون برعايتهم، والوقوف معهم في السراء والضراء، وكفالة المحتاج منهم، كالإيتام والمساكين، بالإنفاق عليهم (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ) (43).

وحفظ أموالهم والسهل على تميمتها وترك كل تصرف يضر بها، وإذا تطلب الأمر تستثمر وتمي لهم، وينفق عليهم منها: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) (44) وقوله تعالى: (وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (45) ومن أهم الحوافز

الشرعية المحببة في كفالة اليتيم، مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، فعن سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) . و قال بإصبعيه السبابة والوسطى. (46)

ويهتم الإسلام برعاية الفقراء والمساكين وتتعدد النصوص التي تحض على الإحسان للفقراء والمساكين، وتفريج كروبهم وإعانتهم ماديا، ومعنويا . وأعطى للساعي على الأرملة والمسكين أجر المجاهد في سبيل الله، والعابد الذي يتقرب إلى الله بالصيام والقيام. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار) (47).

وضرب لنا السلف الصالح أروع الأمثلة في فعل المعروف؛ فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين ولي الخلافة كان يأتي بيتاً في عوالي المدينة تسكنه عجوز عمياء كل يوم، فينضج لها طعامها، ويكنس لها بيتها وهي لا تعلم من هو، فكان يستبق وعمر بن الخطاب إلى خدمتها. (48)

ومن عجيب ما يذكر عن علي زين العابدين أن أناساً من أهل المدينة كانوا لا يدرون من أين تأتيهم معاشهم، فلما مات فقدوا ذلك الذي كانوا يؤثوثه في الليل، ولما غسلوه - رحمه الله - وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقله بالليل إلى بيوت الأرمال⁽⁴⁹⁾ .

ب) تقديم المساعدات للناس: ومن آداب الطريق المستحب فعلها ، مساعدة العجزة لركوب السيارات، وإعانة كبار السن وغيرهم من حمل الأمتعة على وسائل الركوب المختلفة، وذلك كله من الصدقة التي يؤجر المسلم عليها. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاع صدقة، والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة).⁽⁵⁰⁾

ج) تعهد ورعاية المرضى: أولى الإسلام عنايته الكبيرة للمرضى، وشرعت الأحكام لتحقيق المنفعة لأصحابها وعرفت المستشفيات في تاريخ الإسلام بأرقى الخدمات، وصرفت الأموال، وخصصت الأوقاف الخاصة برعاية المرضى، والتخفيف عليهم، والإنفاق بسخاء كبير، وهذا ما عرفه المستشفى المنصوري الكبير ببلاد الشام، فكان يوفر لمن يُشفى، ويخرج سالماً، كسوة للباسه، ودرهم لنفقاته يستفيد منها في وقت النقاها حتى لا يضطر إلى العمل الشاق فور خروجه، والذي يصيبه الأرق من المرضى، يعزل في قاعة منفردة ويُسمع أعذب الألحان، وتقدم له القصص المسلية، وتمثل أمامه الروايات المضحكة، والرقص الشعبي. وتم توظيف اثنين من مال الوقف، يمران بالمستشفيات يتحدثان بصوت خافت يسمعه المرضى، يوحي لهم بتحسن أحوالهم واحمرار وجوههم، وتحسن صحتهم.⁽⁵¹⁾

وجعل الإسلام لعيادة المرضى ثواباً عظيماً، فالمرضى المقعد يكون في أمس الحاجة إلى كلمة مواساة، أو حديث مسامر يخفف عنه المعاناة، ويكسر شبح الوحدة القاتلة، ويبعث فيه الأمل، ويدخل عليه البهجة والسرور وخصوصاً إذا كان الزائر صاحب وجهة في المجتمع، فعن ثوبان ، مولى رسول الله ، عن النبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (من عاد مريضاً ، لم يزل في حُرْفَةِ الجنة). قيل : يا رسول الله، وما حُرْفَةُ الجنة؟ قال: جناها).⁽⁵²⁾ وجناها: أي ثمارها وما يُجنى من شجرها.

د) إصلاح ذات البين: وهو العمل على فض النزاعات، وتقريب النفوس من بعضها، وتحقيق المودة ، وزرع المحبة وتمتين أواصر الوحدة بين أفراد المجتمع، والوصول إلى البنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً، ويتطلب هذا الفعل جهداً كبيراً، وهكذا جعله الإسلام من أفضل الصدقات التي تقدمها لشخصين متخاصمين ، لقوله تبارك وتعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ).⁽⁵³⁾ وثواب ذلك يفوق ثواب التطوع بالعبادات، من صلاة وصيام وصدقة، وهو ما ثبت عند الإمام احمد وأبي

داود والترمذي أن النبي - عليه الصلاة والسلام قال: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قُلُوا: بَلَى ! قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ النَّبِيِّ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ النَّبِيِّ هِيَ الْخَالِقَةُ).

ومن فضائل الحسن بن علي - رضي الله عنهما - إصلاحه بين أهل العراق وأهل الشام، وفيه نزل عن الخلافة وسلمها إلى معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - عام 41 هـ، فسُمِّي عام الجماعة لاجتماع الناس على معاوية. رضي الله عنهما - واجتماع كلمة المسلمين، وزوال الفتنة بينهم. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ). (54)

هـ) الاهتمام بالبيئة: ومن الآداب المستحبة في الطريق! إزالة الأذى عن الطريق، بل هي من شعب الإيمان، قال صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان). (55)

وهذا أصل جليل في تنظيم الحملات التطوعية، وتنظيف الشوارع، وإصلاح الطرق، وإزالة كل ما يعرقل السبل وعد الإسلام ذلك من الصدقات، وبسببها أدخل رجل الجنة، ففي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل سلامى من الناس عليه صدقة... ثم قال: وتميط الأذى عن الطريق صدقة). (56) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له... (57) وعند أبي داود: قال رسول الله: (نزع رجلاً - لم يعمل خيراً قط - غصن شوك عن الطريق، إما كان في شجرة فقطعه وألقاه، وإما كان موضوعاً فأماطه، فشكر الله له بها فأدخله الجنة). وهكذا يمكن الاطلاع من خلال أحكام الإسلام، على جانب أساسي من أحوال المجتمع، بما فيه من تعاون وتكافل ومواساة، وزرع الأمل، والرحمة بالخلق، والمعاملة المستقيمة تدخل السرور على الغني والفقير، والصحيح والسقيم والصغير والكبير، وكله مرتبط بوشائج متينة، تصله بالقيم والمبادئ، وأساسها عبادة الله تعالى حق العبادة.

خاتمة:

إن الخدمة الاجتماعية في المنظور الإسلامي، وفي ظل الشريعة الربانية، لها أبعادها الحضارية، وآثارها الحسنة وانعكاساتها في تطور المجتمع وتغيير أحوال أفراد، ويمكن الوقوف عند بعض أحكامها وخصائصها الفعالة ودلالاتها العامة:

- يوجب الإسلام الخدمة الاجتماعية في كل وضع يتطلب الإصلاح والتعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتخضع الأعمال - في مقابل ذلك - للتطوع المأجور - عند الله - لما يكون في الأمر متسع، والضرورة غير ملحة، وحينئذ يُستحب تقديم الخدمات للناس.

- وتتعدد الدوافع، وتتفرع الحوافز لفعل الخير، والدعوة إلى البر والإحسان، ويكون السلوك - حينئذ - نابعا من أداء الواجب الشرعي، وإظهار قيم الإسلام، بإقامة مبادئه، ونشر المودة والرحمة بين الناس، لأن المجتمع

الإسلامي يقيم معاملته على رابطة العقيدة، والمسلم يندفع ابتغاء الحصول على الأجر والثواب في جنات النعيم، وكل عمل يدخره عند الله رب العالمين.

– تركز الخدمة الاجتماعية في الإسلام على قواعد صلبة، وتقوم على مبادئ متينة، أساسها فعل الخير، وما ينجم عنه من فضائل وأخلاق، مثل التعاون، والإنفاق في وجوه الخير المختلفة، وبذل المعروف في ثوب الخلق الحسن وجمال الأدب، ويتبعه إعانة المحتاج، وإغاثة الملهوف، مع تغليب الإيثار والسخاء، وإتقان العمل، فيكون نفعه واسعاً، وفضله سابقاً، وأثره في المجتمع راسخاً.

– عرف الإسلام بوسائله المتعددة عند تقديم الخدمات الاجتماعية الصادرة من الأفراد، أو الجماعات ولاسيما الدولة كإخراج الزكاة، وأداء الكفارات، ووقف الأموال والعقارات والأراضي، وحبس الكتب والمصادر، لصالح الناس، وتقديم الصدقات لمستحقيها من الفقراء والبؤساء وعابري السبيل، واستغلال الدولة لموارد المال العام، وتنظيم وسائل التكافل الفردي والجماعي وتوزيعها بالعدل، ودعوة الأغنياء إلى المساهمة معها عند الضرورة. – اتصف المجتمع في الإسلام بمظاهر جليلة من الخدمات، كان أولها الإحسان إلى الناس في السراء والضراء وعند الضرورة وفي زمن الرخاء، وتشمل كفالة الأيتام، ورعاية الفقراء والمساكين والأرامل، وتقديم المساعدات في الطرقات والمنتديات، ولأصحاب السيارات والشاحنات، وكل الذين انقطعت بهم السبل، وتعطلت مركباتهم، وللجيران الذين اضطرتهم الحاجة إلى إصلاح قناة أو دفع مكروه عن البيت وما حوله، فضلاً عن تعهد المرضى في البيوت والمستشفيات وإدخال الفرح والسرور إلى النفوس المتألّمة، والاهتمام الشديد بالبيئة وإصلاح أحوال المجتمع.

وتبقى الخدمة الاجتماعية في الإسلام، معلماً واسع الانتشار، يستوعب كل نواحي الحياة، وبها يتحقق الأمن والطمأنينة، وتسود السعادة والبشر في الحياة الاجتماعية.

الهوامش:

- (1) سورة آل عمران، الآية: 104.
- (2) عودة عمر الخطيب: المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، سوريا (ب ت)، ص 196.
- (3) حديث رواه الترمذي وقال: حديث حسن، سنن الترمذي 2169.
- (4) حديث رواه البخاري في "الأدب المفرد" (112) والطبراني في "الكبير" (175/3) والحاكم (167/4) وكذا ابن أبي شيبة في "كتاب الإيمان" (2/189). والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، ج 1.
- (5) حديث رواه الترمذي وصححه الألباني.
- (6) رواه البخاري ومسلم.
- (7) عودة عمر الخطيب، المرجع السابق، ص 194.
- (8) سورة الإنسان، الآية: 8 - 10.
- (9) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، ط9، بيروت، 1980، م6، ص ص 3781-3782.
- (10) حديث متفق عليه.
- (11) حديث رواه مسلم.
- (12) سورة الحج، الآية: 77.
- (13) محمد قطب: دراسات إسلامية، دار الشروق، ط6، بيروت، 1973، ص 63.
- (14) سورة المائدة، الآية: 02.
- (15) أنظر: عبد الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار الفكر، بيروت، 2000، ص 166.
- (16) محمد الغزالي: فقه السيرة، دار الفكر، بيروت، 2000، ص ص 318-319.
- (17) أحمد محمد عساف: خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر، دار إحياء العلوم، ط2، بيروت، 1980، ص 194.
- (18) سورة البقرة، الآية: 263.
- (19) حديث رواه البخاري.
- (20) حديث رواه مسلم.
- (21) حديث متفق عليه.
- (22) حديث رواه البخاري.
- (23) لقاء مع الدكتور طارق لعجال بحاسي خليفة (ولاية الوادي) يوم 2010/10/23، بعد عودته من ماليزيا.
- (24) ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم: دار المعرفة. ط1، بيروت، 1408 هـ، ص 248.
- (25) حديث متفق عليه.
- (26) حديث رواه مسلم.
- (27) سورة الحشر: الآية: 9.
- (28) سيد قطب: في ظلال القرآن، م6، ص 3527.
- (29) محمد قطب، دراسات إسلامية، ص 68.
- (30) سورة البيئ، الآية: 5.

- (31) عبد الله ناصح علوان: أحكام الزكاة على ضوء المذاهب الأربعة، دار السلام، بيروت، ص 45.
- (32) نفس المرجع، ص 07.
- (33) سورة المائدة، الآية: 89.
- (34) حديث رواه مسلم.
- (35) مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار الصديقية، الجزائر، 1980، ص ص 181-182.
- (36) عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص: المقاصد الشرعية والأبعاد المصلحية لنظام الوقف في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 5.
- (37) سورة البقرة، الآية: 195.
- (38) حديث رواه مسلم.
- (39) يوسف القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دار الشهاب، الجزائر، 1988، ص 36.
- (40) حديث رواه البخاري والبيهقي.
- (41) سورة التوبة، الآية: 103.
- (42) سيد سابق: فقه السنة، دار الجيل، ط 10، القاهرة، 1993، ج 1، ص ص 387-390.
- (43) سورة البقرة، الآية: 177.
- (44) سورة البقرة، الآية: 220.
- (45) سورة النساء، الآية: 05.
- (46) حديث رواه البخاري.
- (47) حديث متفق عليه.
- (48) عبد القادر أبو فارس: ثلة من الأولين، دار الشهاب، الجزائر، 1990، ص 20.
- (49) ابن الجوزي: صفة الصفوة، تح أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، 2000، ص 355.
- (50) حديث رواه البخاري ومسلم.
- (51) مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص ص 206-207.
- (52) حديث رواه مسلم.
- (53) سورة النساء، الآية: 114.
- (54) حديث رواه البخاري.
- (55) حديث رواه البخاري.
- (56) حديث رواه البخاري ومسلم.
- (57) حديث رواه البخاري ومسلم.